بنك رويستون

كانت الغلبة للقوة البدنية وكان الناس يفاخرون بقتل خصومهم وسلب اموالهم فصارت للقوة المالية وصاروا يستحلون كل طرق الغش والخداع لكسب المال. وفي الفترة بين الحالين سنت الشرائع والقوانين فحرّمت القتل والسلب والغش والخداع ولكن سلطتها لا تتعدى الظواهر فما كشف امرهُ وقامت الادلة على ثبوتهِ طبقت القوانين عليهِ وما بقي مستوراً ولم تثبتهُ الشواهد والقرائن بقي صاحبهُ بريئاً ولو كان من شر الموبقات حتى ان القاضي لا يحكم على القاتل والسارق ولو رآهما يقتلان و يسرقان مرأى العين مالم يقم غيرهُ الادلة على ادانتهما . وانكى من ذلك ان يكرم اللص ويدخل بيتك فترحب بهِ كأنهُ من جلّة القوم ويدان خادمهُ ويُسجن اذا سرق حفنةً من الشعير من عليق فرسهِ . وتنهال الرتب والنياشين على الذين يزيّفون النقود والاموال ويؤاخذ من يشتمهم بكلمة ويقضى عليهِ بالعقاب . حالة يراها الناس بعيونهم ويغضّون الطرف عنها كأنها من مألوف العادات

وقفنا على قصة موضوعة تبين هذه الاحوال على اسلوب جلي في شكل رواية فكاهية لكاتب اسمهُ جوليان هوثورن فرأينا ان نترجمها ببعض الايجاز قال

كان رجل اسمهُ جمس النهام وهو كهل في الستين من عمرهِ شديد العصب سريع الخاطر ينظر في الامور بعين البصيرة فيدرك غوامضها و يقابلها بعين المزدري فلا تظهر على وجههِ امارات الاهتمام بها

تلقى العلوم في احدى المدارس الجامعة وقرأ كثيراً من الكتب العلمية والادبية ووقف على آراء رجال العصر ولم يتابع غيرهُ بل بقي مستقلاً في رأيهِ وهو مع ذلك لين العريكة حسن المعاشرة يتقن ملابسهُ ولا يظهر عليهِ التأنق فيها . ورث مالاً طائلاً عن ابيهِ واشتغل بالصرافة وانشأ بنكاً منذ خمس وعشرين سنة فزادت ثروتهُ . وتوفيت زوجتهُ وهو شاب فتزوج باخرى وعمرهُ اربعون سنة وولدت زوجتهُ الثانية لهُ ابنة صار عمرها الآن ثماني عشرة سنة وزوجتهُ من اهل التقى والصلاح وهي دونهُ ذكاء

وكان اهل مدينتهِ يجلّون قدرهُ ويحسبونهُ الاول بينهم وعرضوا عليهِ بعض المناصب فرفضها وكان بنكهُ الاول بين بنوك المدينة وجلّة اهاليها يودعون اموالهم فيهِ

وابنتهُ واسمها اولمبيا على جمال فائق وبساطة شديدة وتحبهُ محبة تقرب من العبادة وتعرّف بها طبيب شاب اسمهُ بنتنك فخطبها الى ابيها قبيل الحوادث الآتي ذكرها وكان ذلك في شهر

يونيو واتفقا على ان يكون اقترانهما في اكتوبر

وكان النهام ذات يوم في غرفته الخاصة بعد انصراف العمال لان العراف واسمه كلفري طلب ان يكلمه على انفراد . وكلفري هذا كهل في الاربعين من عمره دخل البنك في حداثته كاتباً وبعد خمس عشرة سنة صار صرافاً وهو ذكي امين جدًّا يجري في اموره واعماله على غاية الانتظام والتدقيق لكنه كثير التأني يسير سير السلحفاة بينما النهام يثب وثب الايل وكان النهام يقدره قدره ولا يخفه حقه ويمزح معه احياناً ويتهكم عليه لكن كلفري لا يتعدى منزلته ولا يكلمه الا بالوقار والاحترام

وكان النهام يعلم ان كلفري يحب ابنته اوليبيا ولكنه ينظر اليها نظر العابد الى المعبود غير طامع بالاقتران بها وكانت هي تنظر اليه بعين الدعة واللطف ولم يخطر ببالها قط ان حبها كان متملكاً فؤاده فلما بلغه ان بنتنك خطبها لم يقل شيئاً بل زادت سكينته وزاد انكفاؤه على عمله

وقد رأى حديثاً ان الاموال قلت في البنك رويدًا رويدًا ولم يبق فيه الا مبلغ زهيد لا يفي بجزء مما يُطلب منه فاذا طلب الوادعون اموالهم اضطر ان يشهر افلاسه حالاً فاخبر المدير بذلك وطلب اوامره في هذا الشأن وهذا هو الغرض الذي طلب ان يقابله فيه

فالتفت المدير اليه باسماً وقال له اظنك قلقاً من جراء ذلك فان خفت من الغرق معنا فما عليك الا ان تسبح الى الشاطئ وتنجو بنفسك ولا يصعب عليك ان تجد لك عملاً في بنك آخر

فقال كلفري نغرق كلنا او ننجو كلنا بل افضل ان اغرق وحدي او افعل اي امر آخر اذا امكنني ان انفعك او انفع من لك

فنظر المدير اليه وقال له باسماً هب انك تشرع من الآن تزوّر الدفاتر قبل ان يطّلع عليها مأمورو الحكومة . فقال كلفري وهو يحسب ان المدير يتهكم عليه اني لا انتظر ان ثق بي اكثر مما استحق وعلى كل حال فالبنك بنكك وانت المسؤول عنه ولم اقصد في ما ابنته لك الا اطلاعك على حقيقة الحال لكي ترشدني الى امر افعله مخافة ان نؤخذ على غرة

فقال المدير احسنت ولعلك خفت ايضاً على اوليبيا لعلّ خطيبها يتركها وتضطر الى التسوّل فاخمرّ وجه كلفري وتنهد ولم يقل شيئاً

فقال المدير الا تزوّر الدفاتر اكراماً لاوليبيا فان الضرورات تبيح المحذورات ولكنني اظن ذمتك تمنعك من ذلك

فانقض كلفري رأسه وبقي صامتاً

فقال المدير يظهر لي انك لا تحب المزاح فهل لك شيء آخر تقوله لي

فقال كلفري كلاَّ ولكن اتَّضح لي انك لا توجس شرًّا فاطمأن بالي

فقال المدير لقد قلتَ لي انهُ لم يبقَ في خزائن البنك سوى مئة وخمسة وستين الفًا من الريالات وبقي يساوي ضعفي ذلك واثانهُ يساوي مئة الف والاملاك والديون التي لنا تساوي مليون ريال وعلينا من الديون مليونان على الاقل فعلينا اكثر مما لنا . واذا اظهر ذلك مراجع الحسابات تداولتهُ السنة الجرائد وصرنا مضغة في افواه الناس يقولون فلان خرج صفر اليدين بعد ما اشتغل خمسًا وعشرين سنة واضاع امواله واموال الناس . لي سؤال القيهِ عليك يا كلفري واطلب منك الجواب عنهُ قل لي اي من يصل اليهِ المرء حتى يصير بأمن من ان يرتكب التزوير ويُعدَّ مع الجناة

وكان كلفري قد سار نحو الباب لانهُ رأى المدير غير مهتم بالامر ولا اجابهُ الاَّ بالمزاح والتهكم فلما سمعهُ يقول هذا القول بلهجة الجد وقف حائرًا في امرهِ ولم يعد يخرج

فقال لهُ المدير تعال تلَّ لي هل كبرتُ عن السرقة والاختلاس بعد ان عشت هذا العمر كلهُ سالكًا سبل الامانة

فنظر اليهِ كلفري مدهوشًا وقال لهُ بصوت متقطع "السرقة والاختلاس" صار لي معك عشرون سنة وانا ارى فيك مثال الصدق والامانة فلا استطيع ان اتصور انك تُقدم على شيء مثل هذا لا تؤاخذني انك تمزح معي وتتهكَّم عليَّ"

فرفع المدير رأسهُ وانحنى في كرسيهِ الى الوراء وضحك وقال احسنتَ اذهب الآن الى بيتك ونم مطمئن البال فان احوال البنك على ما يرام ولا خوف علينا . اذهب بسلام

فودعهُ كلفري وهو يطلب المعذرة منهُ ويقول في نفسهِ ما اوسع حيلة هذا الرجل وما اقدرهُ على ادارة الاعمال

* * *

بقي المدير في مكانهِ هنيهة يفكر في امرهِ ثم تنفَّس الصعداء وقام ومضى الى بيتهِ وهو طلق المحيَّا كأنهُ لا يهتمُّ بشيء

وجلست عائلتهُ للعشاء هو وزوجتهُ وابنتهُ وخطيبها . وكان هذا الخطيب بهي الطلعة بشوش الوجه نحيف الجسم شديد العضل وكان بارعًا في صناعتهِ متضلعًا من العلوم المتعلقة بها تظنهُ من اول وهلة بعيدًا عن الناس لا يميل الى معاشرتهم لكنك اذا خبرتهُ ووثق بك رأيتهُ على جانب كبير من الدعة والانس ثم ترى تحت ما في وجههِ من البشاشة وفي اعطافهِ من

اللين اعصاباً كالفولاذ وعضلات كالحديد تريك انهُ جبار عند الشدَّة مصداقاً لقول من قال

ان الرجال صناديق مقفَّلة وما مفاتيحها الاَّ التجاربُ

وجرى الحديث في شؤونهِ وهم على المائدة فقالت مسز النهام قرأت الآن عن حادثة أُخرى من هذه الحوادث المشومة — صراف سرق مالاً طائلاً من البنك وهرب بهِ ويقال انهُ كان معدوداً من اهل التديُّن الذين يكثرون التردُّد على الكنيسة . لا بدَّ من ان ينتقم الله منا لاجل هذه الشرور لان خوفهُ زال من قلوب الناس . فالتفت زوجها الى الدكتور بنتنك خطيب ابنتهِ وقال لهُ ما قولك في ذلك هل زاد الصلاح في الدنيا او زاد الشرُّ فيها

فقال بنتنك اني ارى الرياء شراً لانهُ فهذا الرجل كان مرائياً وقد تعب من حسبان الناس لهُ ديِّناً وهو لص ففضَّل ان يجاهر بامره . والمجتمع الانساني تعتريهِ الآفات مثل جسم الانسان والآفة الظاهرة اقل ضرراً من الباطنة لان الاولى شفاؤها مأمول واما الثانية فلا يرجى لها شفاء

فضحك النهام وقال هذا ضرب من ضروب الحكمة مفادهُ ان من كان شرُّ الناس حسب الظاهر فهو افضل الناس . أحسنت أحسنت

فالتفتت اوليبيا الى خطيبها وقالت لهُ لا تصدق ما يقولهُ ابي لانهُ ليس اكره للخداع منهُ . فلم يجبها بل قال ان الغنى امر جديد في الدنيا لم يدرك الناس كنههُ حتى الآن فيظنونهُ كلَّ مطلب ويضحون كل شيء في سبيلهِ وقد قسم الناس الى فريقين الى شرذمة من الجبابرة وهم الاغنياء بين جيوش كبيرة من الاقزام وهم المتوسطون والفقراء ولكل جديد بهجة فمتى الف الناس الغنى لا يعود احد يهتم بان يكون جباراً فتزول التجارب التي تجرِّب الناس الآن لاكتساب الغنى والشرور التي يرتكبونها في سبيلهِ . والانسان ابن الاختبار فمتى اختبر الغنى وعلم متاعبهُ عافتهُ نفسهُ كما تعاف المآكل اذا شبعت منها

فقال النهام ان الانسان مطبوع على الشر وهو ظالم بالطبع ويطلب دائماً ان يكون فوق غيرهِ وما دام الناس يحسبون التفوُّق لاهل الغنى فلا بدَّ من سالب ومسلوب وظالم ومظلوم لان الناس لا يستطيعون ان يغتنوا كلهم ولا يغتني رجل الاَّ اذا افتقر رجال . وما دمنا نكرم الغني ونجل قدرهُ وكل امرء يود ان يكرَم ويجل فكل امرء يحاول ان يغتني مهما كلفهُ ذلك وسواء كانت الطرق الموصلة الى الغنى محللة او محرَّمة . اما من حيث الرياء فاكثر الذين يراؤون يراؤون لاجل نسائهم واولادهم فان الرجل يرى زوجتهُ واولادهُ يعتقدون فيهِ الفضل والكمال فلا يتجاسر على نزع هذا الاعتقاد منهم

فقالت لهُ اولمبيا ألا يجب اذًا عقاب المجرمين

فقال نعم اذا امكن اثبات الجريمة عليهم وحينئذٍ يكون عقابهم لا لجريمتهم بل لانهم لم يكونوا ماهرين في اخفائهم فاذا اخفوها حتى لا تظهر او لا تثبت عليهم لم يعاقبوا . فالضعيف او الجاهل الذي لا يستطيع ان يخفي ذنوبهُ هو الذي يعاقب عليها ونحن كالذئاب كلما سقط منا واحد أكلناهُ

فنظرت زوجتهُ اليهِ نظر الغيظ وقالت لهُ لا يحسن بك ان تمزح هكذا امام ابنتك وصهرك فانهما لا يزالان صغيرين قليلي الاختبار فتشوش افكارهما

وقامت اولمبيا وقبّلت وجههُ وطوقت عنقهُ بذراعها وقالت ان ابي لا يشوش افكاري وهو احسن الناس كلهم

فالتفت النهام الى صهرهِ وقال لهُ انظر كيف يضطر الانسان الى الرياء

ودخل الخادم حينئذٍ وقال اتى رجل يقول انهُ حضر بطلب منك وقد عينتَ لهُ هذه الساعة لتقابلهُ فيها فهل ادخلهُ الى غرفة الاستقبال

وكانوا قد أكلوا وشبعوا وجلسوا يتنقّلون فوقف النهام ومسح شفتيهِ بمنديلهِ وقال للخادم ادخلهُ الى مكتبتي وقل لهُ اني سأحضر حالاً

فقالت اولمبيا على الذين لهم شغل معك ان يقابلوك في البنك لا في البيت اما في البيت فانت لنا لا للشغل ولذلك سندخل المكتبة ونمنعكم عن الكلام

فقال ابوها ان امر هذا الرجل خصوصي ولا يحسن ان يُرى في البنك وهو من كبار الماليين فاذا خفنا من الافلاس فهو الرجل الذي يساعدنا ولكن اذا علم انني اجتمعت بهِ وتآمرنا على امر هجم الناس علينا غدًا يطلبون اموالهم المودعة عندنا فلا اعود قادرًا على تجهيزك

فقالت ان قلبي يوجس شرًّا من هذا الرجل فاطردهُ من هنا او دعني ادخل المكتبة واسمع مايقول

قالت ذلك وهي ممسكة بيدهِ فنظر اليها وكأنهُ تردّد في امرهِ ثم نزع يدهُ من يدها وقال قضي الامر ولا بدّ لي من ان اوقع اسمي في دفترهِ اذهبي العبي مع خطيبك وسأعود اليكم سريعًا

قال ذلك وسار مسرعًا فقطع الدار ثم التفت الى ورائهِ فرأى بنتك خطيب ابنتهِ سائرًا مع زوجتهِ وابنتهُ سائرةً الى جانب خطيبها وهي تقبل يدها وتشير اليهِ بها كأنها تقبلهُ عن بعد وقالت لخطيبها لا بدَّ من ان يكون هذا الرجل آتيًا يستعطي من ابي لان كثيرين يقصدونهُ لهذه الغاية وهو يتصدّق اكثر من كل احد ولا مثيل لهُ غيرك ياحبيبي

وكان الرجل الذي اتى زائرًا واقفًا في غرفة المكتبة يرى ولا يُرى لانها كانت مظلمة لا نور فيها فرأى ذلك الشاب بين خطيبتهِ وامها فسرَّهُ ذلك المنظر وانطبعت صورتهُ في ذهنهِ ووصل اليهِ النهام حينئذٍ ودخل واغلق الباب وفتح النور الكهربائي فاضاءت المكتبة بنور ساطع

***

ان الذين يفلحون في هذه الحياة يظنون ان الفلاح جاءهم بغتةً والذين يفشلون يظنون ان الفشل جاءهم عفوًا والحال ان للنجاح والفشل درجات يتدرجان فيها لكن الانسان لا يتذكر الدرجة الاخيرة منها. والحالة التي وصل النهام اليها الآن لم تفاجئهُ مفاجأة بل قد تدرَّج اليها تدرُّجًا لكن طرق الشر لا تكون جليَّة في مبادئها فلا يوجس الانسان منها شرًّا ولا يرى اعوجاجها وابتعادها عن طرق الاستقامة الاَّ متى اوغل فيها وتعذَّر عليهِ الرجوع عنها. والآن لم يكد النور الكهربائي ينير تلك الغرفة حتى أُطفئ النور الداخلي من قلب النهام فاظلم ظلمة دامسة

وقف النهام والرجل الذي جاء لزيارتهِ. وقفا متواجهين وكلٌّ منهما ينظر الى الآخر ويتفرَّس في وجههِ. وكانت غرفة المكتبة ادلَّ على اخلاق صاحبها من كل ما في بيتهِ لانهُ رتبها على ذوقهِ. كانت فسيحة مملوءة بخزائن الكتب على جدرانها الاربعة والخزائن بديعة الصنعة وفوقها صور كثيرة مختلفة الاشكال منها ما يمثل الجمال ومنها ما يمثل الحب ومنها ما يمثل العظمة وفي جانب من الغرفة مائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات وفي جانب آخر موقد على رفهِ آنية مختلفة من الزجاج البندقي وبين الكتب تماثيل غريبة منها تمثال ياباني يمثل رجلاً يتنحر يقر بطنهِ على ما كانت الجنود اليابانية تفعلهُ اذا خافت العار. والكتب حسنة التجليد والتذهيب ولكن بعضها لمؤلفين مشهورين بالمجون. وفي الغرفة زاوية فيها مائدة وادوات كيماوية كثيرة وسموم مختلفة وهلمَّ جرًّا مما يدل لاول وهلة على ان عقل ذلك الرجل كان ميَّالاً الى الاطلاع على كل ما في الدنيا من صالح وطالح وطيب وخبيث ولكن اذا امعن النظر فيهِ بان منهُ ان الرجل يتقصَّد الشر تقصُّدًا ويتوخاهُ حتى في الطيبات ومن كان كذلك أَلف الشرَّ اخيرًا ولو تكلَّفهُ في اول الامر تكلفًا فصار ديدنًا لهُ. لم يكن الشر من طبعهِ لكنهُ طوَّح نفسهُ فيهِ تطويحًا فصار عبدًا لهُ ثم صار سيدًا عليهِ

والرجل الزائر ربعة مجدول العضل اسود الشعر اجعده واضح تقاطيع الوجه يداهُ صغيرتان لكنهما قويتان يحمل عصًا من الابنوس مقبضها من الذهب تنظر الى وجههِ كما تنظر الى لغز لا تستطيع ان تفهم منهُ شيئًا كأنهُ يخفي اغراضهُ قصدًا لا يفتح عينيهِ على ملئهما لكنهُ يعي بهما كل ما يراهُ ولو لمحةً لمحة واحدة

تفرّس فيهِ النهام هنيهة ثم قال لهُ أأنت المستر دكسترغون الممتاز على اقرانهِ فقال نعم انني اسمّي نفسي بهذا الاسم ولي بعض المزايا على اقراني كما لك بعض المزايا على اقرانك . وكان كلامهُ صريحاً خالياً من كل غشّ . فوقف النهام هنيهة أخرى يتفرّس في وجههِ كأنهُ يريد ان يطبع صورتهُ في ذهنهِ ثم قال لهُ انني اقفلت الباب فلا يسمع احد ما نقولهُ فتفضل واجلس واجتماعنا امرٌ محتوم لابدَّ منهُ ولقد فضّلتُ ان يكون بدعوة مني لك . ماذا تريد ان تشرب اخمرًا ام شرابًا آخر

فقال لا اشرب شيئًا الاَّ بعد ان ننتهي من شغلنا ولكنني ادخن سيكارًا اذا اردت

ففتح النهام درجًا واخرج منهُ صندوق السيكار وفتحهُ امام ضيفهِ واخذ منهُ سيكارًا اشعلهُ ومص منهُ مصتين ثم وضعهُ في المنفضة وجلس على جانب المكتب لا على كرسي وبدت عليهِ دلائل الاضطراب لان افكارًا مختلفة تنازعتهُ في تلك الساعة وضيقت انفاسهُ فخفق فؤادهُ واضطربت رئتاهُ وشعر كأن الضغط الادبي زال عنهُ فجاشت نفسهُ كما يجيش الماء في انابيب ضغط الهواء عنهُ ولو لم تكن حرارتهُ شديدة ثم جعل يمشي في الغرفة ذهابًا وايابًا وهو يجبر نفسهُ على جعل خطواتهِ متساوية لكي يشتغل ذهنهُ بشيءٍ عما كان قائمًا في نفسهِ من الاضطراب ثم صار يلتفت الى ما حولهُ في الغرفة لكي يتلهى بهِ فرأى كأن كل ما فيها انقلب عن وضعهِ وحانت منهُ التفاتة الى مرآة في الحائط فرأى صورتهُ فيها واستغرب لما رأى نفسهُ بثياب فاخرة ولحية منتظمة كأنهُ كان ينتظر ان يرى نفسهُ في ثياب الجناة وشكلهم الزري وحاول النطق فعصاهُ لسانهُ وارتجفت شفتاهُ وشعر انهُ سائر في سبيل كثير المزالق لا تؤمن عاقبة السير فيهِ فقال لا بدَّ من ان تبقى الدفة في يدي سواء سرت او لم اسر . ثم عاد الى نفسهِ فرأى انهُ لا يزال واقفًا امام دكسترغون ودكستر يدخن السيكار ولا يبدي حراكًا وشعر كان تلك اللحظة سنة مرَّت بهِ فجمع قواهُ كلها وقمع عواطف نفسهِ التي كادت ثورتها تتغلَّب عليهِ وقال

لا بدَّ من انك سجنت وذقت الاشغال الشاقة ولقد كان ذلك شأني ولم اخرج من سجني واذق طعم الحرية الاَّ الآن واذا نجحت حيلتنا كانت الاخيرة من نوعها

فقال لهُ غون اراك قلقًا دعنا نتكلم في شغلنا فيهدأ روعك

فجلس النهام في كرسي كأنهُ غصبًا عنهُ وسكن جاشهُ وقال لقد راجعت فكري وحكّمتُ نيتي قبلما دعوتك ولم يبقَ وجه للاعتذار والتأويل . اظن انك فهمت مرادي من دعوتي لك

فاشار غون بحاجبيهِ ولكنهُ لم يتكلَّم

فقال النهام لا بأس باطلاعك على كل شيء ولا خوف من انك تكشف سري لاحد لانهُ

ليس معنا ثالث واذا شكوتني وانكرت فما من احد يصدق دكستر غون رئيس اللصوص ويكذب جمس النهام مدير بنك رويستون المعروف بالنزاهة والاستقامة في كل هذه البلاد

فقال غون افصح المقال واخبرني بمرادك

فقال النهام اريد منك ان تسرق البنك. قال ذلك وكاد صوته يبح حينما نطق بهذه الكلمة

فقال غون مهلاً يا صاح ولا تتعجل في الكلام فان للصوص آداباً كما لمديري البنوك وانا اعرف من امر البنوك كما تعرف انت ولو على اسلوب آخر ويظهر لي انك ضاربت فخسرت ورهنت بيتك وامتعتك ولكن بقي البنك مديوناً باكثر ما فيه وتخاف ان يتفضح امرك فلماذا تلجأ اليّ ولا تفرّ وتنجو بنفسك

فقال النهام لان لي زوجة وابنة وسأصير حمياً عن قريب والهرب لا ينجيني من العار فصمت غون هنيهة ثم قال اتعني تلك الفتاة التي رأيتها والشاب الذي كان معها

فقال النهام مالنا ولهما الآن

فقال غون ولكن ان كان شأن ابنتك يهمك فليس الامر سهلاً كما تظن لانها اذا اوجست شرًّا ونظرت اليك نظرة واحدة فقد تثنيك عن عزمك. فصمت النهام قليلاً كمن ينظر في معنى خصمه ثم لاحت على وجهه امارات الهزء فقال انت حرٌّ ان تفعل اولا تفعل فتخسر ربحاً طائلاً أو تظنني سهل الانقياد الى هذا الحد

فقال كلاَّ ولكنني اعرف الناس الذين مثلك اذا انحرفوا مالوا كل الميل فهل هذه اول خطوة خطوتها في هذا السبيل

فاغتاظ النهام من هذا الكلام وانقبضت عضلات يديه لكنهُ عاد فملك طبعهُ وقال نعم هذه اول خطوة

ففكَّر غون قليلاً ثم قال اني لا استحسن هذا العمل ولكن قل لي كم لي منهُ

فأفرج عن النهام وقال ان في خزنة البنك مئة وخمسة وستين الف ريال من الاوراق المالية وهي اجرتك اذا وصلت اليها ولكن لابدَّ لك من كسر الخزنة وانا ادَّعي انك نهبت منها ملايين ثم أستدعي مجلس المديرين ونسوّي المسألة فما رأيك في ذلك

فقال هل يعلم احد بذلك غيري وغيرك — هل يعلم بهِ صرَّافك كلفري

فقال النهام كلاَّ ولو امكنني ان اخبر احداً ما كنت دعوتك الى هنا ولم تشتدَّ الازمة عليَّ الاَّ قريباً وقد بلغني مهارتك وما فعلتهُ بنك نيويورك منذ سنة او سنتين وها نحن كما ترى

فقال غون اني اعرف رجلاً من مديري البنوك وقع في ما وقعت فيهِ انت فجعل صرّاف البنك يهرب بقليل من المال وادّعى عليهِ انهُ سرق اموال البنك كلها وفرّ بها ولكن ان لم يكن كلفري من هذا القبيل فلا بدَّ من طريقة اخرى

فقال النهام ولا يحل لي ان اوقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة اما انت فامرك معلوم

فنظر اليهِ غون نظر الازدراء وقال لهُ اعلم اننا اذا قابلنا مديري البنوك باللصوص الذين يسرقون البنوك لم نجد المديرين افضل من اللصوص بل نجدهم ادنى منهم واجبن فاننا نحن نسرق البنوك تحت انوف الحراس ونسقط او نقوم ولا نتظاهر بالخير ونحن نبطن الشر . واما انتم فتتنجمون في قصوركم وتهزأون بالدنيا وتختلسون اموال الناس اغنياء وفقراء على حدٍ سوى واذا درى بكم الحراس او القضاة تعرفون كيف ترشونهم وتنجون . وعندي شيء آخر اقولهُ لك فاجلس واستمع لانهُ قلما يتفق لي ان اكلم رجلاً مثلك . هوذا ابنتك فتاة جميلة المنظر طلقة المحيا ولا شبهة عندي في انها طاهرة السيرة والسريرة ومتمترن عما قليل بشاب مهذب وهما يظنان انك عين الكمال وانا يقول الناس اني رجل شرير ولا اخالفهم في ذلك واذا قبضَ عليَّ وانا متلبس بالجناية ولم اجد لي سبيلاً الى النجاة الاَّ بقتلك قتلتكَ ولم ابالِ . وقد رأيتك منذ ساعة آتياً اليَّ وابنتك وراءك تقبل يدها وتشير اليك بها وحينما ننتهي من شغلك معي تعود اليها وتقبل وجنتيها وانت لص ومختلس مثلي ولا تستحق ان تحسن الظن بك اكثر مما تحسن الظن بي . لقد عشتَ عيشة الرخاء كل عمرك ودرست في احسن المدارس وتربيت على الصلاح وانا مجرم عشتُ مع المجرمين ولم اتعلم الاَّ ما يسهل عليَّ الكلام والتعبير عن افكاري ولكن اذا نظرت اليَّ فتاة مثل ابنتك كما تنظر ابنتك اليك قلتُ لاني ارى من نفسي اني لا استحق ذلك ولا اجسر عليهِ . واني لأخبرك بما لا تعلمهُ وما قد لا تصدقهُ وهو اننا نحن معاشر اللصوص نضع لانفسنا حدًّا لا نتخطاهُ فلا نتظاهر بالفضيلة ولا نخدع غيرنا حتى يعتقد فينا غير ما نحن اما انتم وجهاء القوم فلا حدَّ عندكم لشيء تتظاهرون بالصلاح والوجاهة وانتم فاسدو السيرة والسريرة وهذا الذي اعتقدهُ فيك يا مستر النهام ولا سيما بعد ان قلتَ لي انهُ لا يحل لك ان توقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة ولكن يحل لك ان تستأجر لها لصًّا مشهورًا باللصوصية مثلي . فلقد صدق ظني فيك انك تقيم من نفسك الخبيثة صنمًا تعبدهُ ابنتك ويعبدهُ خطيبها وتتظاهر امام الذين نهبت اموالهم انك الرجل الذي نهبتَ امواله وهذا هو الذي يحملني ازدري توبيخك لي وسافعل ما طلبتهُ مني لانهُ قلما يقع لي مثل هذا المبلغ من المال بهذا المقدار من السهولة . ولكن اذا ساءت احوالك بعد ذلك

وانتظمتَ في سلك اللصوص فاعلم ان اللصوص الذين مثلي يترفعون عن مشاركتك وها قد افرغت لك ما في نفسي

***

لما كان غون يتكلم بهذا الكلام كانت القوة الغضبية في النهام تجيش وتثور وهو يحاول اخمادها لانهُ رأى نفسهُ في قبضة هذا اللص وسمعهُ ينتقد اخلاقهُ انتقادًا كشف لهُ القناع عن حقيقة امرهِ وحاول الضحك استهزاء بكلام خصمهِ فابت نفسهُ عليهِ ذلك وحثتهُ على الانتقام منهُ ولكنهُ عجز عن الامرين فقد كان في كل ما مضى عليهِ من السنين وليَّ امرهِ ووليَّ امر غيرهِ لا يُناقَض ولا يعاند في شيء فلما ترك منزلتهُ التي كان فيها رأى نفسهُ امام هذا اللص كالمرؤوس امام الرئيس وزاد في خستهِ اهتمامهُ بحفظ مقامهِ بين الناس فاضاع منزلتهُ التي كان يحتمي بها كما يترس منيع ورأى سيف اخلاقهِ مثلَّمًا في يدهِ لا يقطع شيئًا فوقف امام اللص اعزل لا درع يقيهِ ولا سلاح يدافع بهِ ولم يعد يجسر ان يقطع الحديث وينقلب لان زمامهُ صار في يد خصمهِ. فقال في نفسهِ لقد استطيع ان انتقم منهُ في فرصة اخرى فارتاح الى هذا الخاطر وكظم غيظهُ وافرَّ بفشلهِ وقال لغون اراك قويَّ الحجة جدًّا وانا واقع في ورطة كما ترى ولا بدَّ لي من ان اضحي كل شيء للنجاة منها الاَّ مقامي بين الناس ولا اهتم بهذا المقام الاَّ حبًّا بزوجتي وبنتي ولا شبهة ان منزلتك في هذه المسألة احسن من منزلتي ومهما يكن من الامر فانا لاجيء اليك طالب مساعدتك ولك من الجزاء ما يرضيك

فاشار غون برأسهِ علامة القبول وقال لهُ اشرح لي بعض التفاصيل

فقال اني اعطيك مفاتيح البنك وأبعد عنهُ الحارس وعليك ان تدبر امر الغفير وهو ارلندي من رجال البوليس ولا بدَّ لك من كسر الخزنة . واصلح الاوقات لذلك غدًا ليلاً

فوقف غون وقال ان المبلغ الذي فيها مئة وخمسة وستون الف ريال الم تقل كذلك

فقال النهام وقد يُسحَب منهُ شيء قليل او يضاف اليهِ شيء قليل غدًا في بحر النهار

فنظر غون نظر المستفحص المستريب وادرك النهام مرادهُ فاغتاظ منهُ ولكنهُ لم يظهر الغيظ بل اخفاهُ بالتبسم

فقال غون اني اعتمد على قولك ثم دار ليذهب

فقال لهُ النهام ألا تشرب الآن كاسًا من الشراب ثم فتح خزانة واخرج زجاجة منها وصبَّ كاسين فتناول كلٌّ منهما كاسًا وشربها وقال غون هذا الشراب طيب واذا تم كلُّ شيء على ما احب تركتُ اللصوصية لاني ملتها وذهبتُ الى البلدان الجنوبية واقمت فيها آمنًا

ولكن لا تدع ابنتك تعلم شيئاً مما جرى بيننا

فقال النهام الله يوفق . وخرج غون من الغرفة فسمع اوليبا تنادي ابيها وتقول لهُ قل لضيفك ان يتفضل و يشرب فنجان شاي معنا

فالتفت الى غون وقال لهُ ادخل اشرب فنجان شاي لماذا لا تدخل . فنظر اليهِ غون شزرًا وقال لهُ اتدّعي انك تهتم بامرها ثم تركهُ وسار وخرج من البيت وكأنهُ رماهُ بسهم صائب بتلك النظرة

ولما وصل الى الشارع الذي امام الباب مرّ بهِ رجل منحني الرأس غائر العينين وهو كاثري صراف البنك كان من عادتهِ ان يمشي امام بيت المدير حيث تقيم الفتاة التي علق حبها قلبهُ . ولم يلتفت غون الى كاثري ولكن كاثري رآهُ جيدًا فرسخت صورتهُ في ذهنهِ (ستأتي البقية)

بورت آرثر والحرب الحاضرة

من يرمِ بنظرهِ دقيقة واحدة على خارطة اوربا يرَ ان روسيا على اتساع مساحتها لا ميناء بحريًا لها الاَّ على البلطيك حيث يبقى الجليد نحوًا من عدة اشهر يمنع من حركة البواخر والسفن ولما كان وجود الموانئ البحرية في الدول من اهم عوامل تقدمها واسباب عظمتها حاولت روسيا مرارًا ان تصل الى البحر المتوسط فما افلحت ووجدت من الصعوبات والمقاومات ما ايأسها وكاد يذهب بامانيها . فمن ثم وجهت نظرها الى الشرق الاقصى فكان احسن ميناء وجدتهُ هناك ميناء فلاديفوستك . الاَّ انهُ في اقصى المعمور من جهة المشرق على تنحيهِ عن طرق التجارة العامة وفوق ذلك فان الجليد يلازمهُ اكثر ايام السنة . ومع ذلك رضيت بهِ مدة وفقًا للقول المأثور اذا لم يكن ما تريد فاردد ما يكون وعللت نفسها ان كوريا قريبة من هذا المرسى فلا بُدَّ من ان يسعدها الحظ فتنتهز فرصة للداخلة في امور هذه البلاد فتستولي عليها او على الاقل تكون تحت حمايتها وتتوصل من ثم الى ميناء فيها يغنيها عن فلاديفوستك ويفتح بابًا لتجارتها في الشرق الاقصى

الاَّ ان الدولة الروسية كانت تعلم الصعوبات التي تحول دونها ودون متمناها هذا . واقلُّ هذه الصعوبات معارضة الصين وربما اليابان لانها لم تكن اذ ذاك تحسب حسابًا لليابانيين لحداثة عهدهم بالظهور بين الدول التي يُؤبَهُ لها . وكان معظم خوفها من معارضة الصين راجعًا الى ما بينها وبين كوريا من ترامي المسافات وصعوبة المسالك التي تحول دون ايصال قواتها